الشـــيوعية الخُرَّمية

للأستاذ عباس حسان خضر

الخُرَّمية نسبة إلى خُرَّم بمعنى الفرح ، وأصحابها يحللون كل ما يريدون ويشتهون ، فيسمون مذهبهم مذهب الفرح . وقد أخطر لى الكلام على هؤلاء الخرميين الشيوعيين الذين قاموا بأذربيجان منذ أحد عشر قرناً — تلك الحوادث الجارية فى ذلك الإقليم من شمال إيران المتاخم لروسيا . ولك أن تلاحظ صلاح تلك البيئة لنمو الأفكار الشيوعية ، فقد نشأت بها مذاهبها متجهة من الجنوب إلى الشمال : كانت المزدكية القديمة فى بلاد فارس ، ثم كانت الخرمية (موضوعنا) فى شمال فارس ولعل الفكرة قد تابعت سيرها إلى الشمال حيث استقرت فى روسيا فى عصرنا الحاضر شيوعية مقربلة منخولة ، نفى التنظيم الحديث منها كثيراً من العناصر الفوضوية القديمة ، حتى أصبحت نظاما من نظم الحياة فى هذا العصر ، له مبادئه وفلسفاته ، وله أنصاره ومعارضوه .

قامت الشيوعية الخرمية بتلك الأصقاع فى عهد المأمون ، واستطار شررها وعظم خطبها ، وهب إعصارها على الحضارة الإسلامية فى إبان ازدهارها ، فحشدت لها الدولة العباسية قواتها وظلت تكافحها عشرين سنة ، حتى أخمدت أنفاسها .

كانت الخرميةُ الميلادَ الثانى للشيوعية فى تلك البلاد ، بعد مزدك الذى ظهر فى عهد قباذ ملك الفرس ، فدعا إلى المشاركة فى كل شىء ، بحيث لا يُمنَع أحد مما يشتهى ، كما دعا إلى ترك المنازعات والخصومات والحروب . ومال قباذ إلى هذا المذهب ، فلما ملك بعده ابنه أنوشروان قتل مزدك ، وقضى على الشيوعية الأولى . أما الخرميون فقد زادوا على المزدكية القديمة القتل والغصب والحروب ، وكانوا — إلى تلك الإباحية — يدينون بالتناسخ ، أى حلول الأرواح فى أجساد أخرى غير التى فارقتها ، وقد ادعى زعيمهم بابك الخرَّمى أنه إلهٌ ، حلت به روح كبيرهم الأول جاويدان

كان بابك فى حياته الأولى راعياً صغيراً فى قرية بأذربيجان ، وقد زعمت أمه أنها نظرت إليه وهو نائم فرأت تحت كل شعرة من رأسه وصدره دما ، فلما انتبه من نومه اختفى هذا الدم ، فقالت

التى حملها المستر سنفليت من أوروبا . وهى الأفكار الاشتراكية الحديثة ، ولخشية السلطة الهولندية من انتشار الروح الشيوعية فى المجتمع الأندونيسى حلت الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وأرجعت إلى هولندا بعض زعمائه . أما سنفليت فمكث فى أندونيسيا .

ومبادىء الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، القضاء على الرأسمالية الدولية ، وإنشاء قوة شعبية اشتراكية ، تمكن لأندونيسيا التحرر من الاستعمار الهولندى الذى يؤيده الأمبريالية العالمية .

وفى سبتمبر عام ١٩١٤ أنشأ بعض الزعماء الأندونيسيين حزب « Pasoendan » أشهرهم رادين أوتو اسكندر دينانا . وكان الحزب يرمى إلى إيجاد رابطة شعبية مكونة من كبار الموظفين والتجار والصحفيين والأسر الراقية ، لتقود الشعب إلى ميدان الجهاد لتحرير أندونيسيا من السيطرة الهولندية . وفى عام ١٩١٧ ظهر فى جزيرة سومطرة حزب « Sjarekatsumatra » أو « رابطة سومطرة » قاصداً إلى توحيد الجبهات الشعبية فى جزيرة سومطرة للعمل متحدا فى حقل الميدان السياسى لمقاومة الاستعمار .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى قدمت الأحزاب السياسية الوطنية مذكرة إلى الحكومة الهولندية بانشاء حكومة أندونيسية وبرلمان ، فوعدت السلطة الهولندية الأحزاب السياسية بانشاء مجلس نيابى بعد أن تضع الحرب أوزارها . وفى ١٨ مايو ١٩١٨ افتتح المجلس النيابى « Volksraad » جلسته الأولى ، فجاء مخيبا لآمال الوطنيين ، إذ كانوا يرمون إلى إنشاء برلمان وحكومة وطنية . وانتخب أعضاؤه من الأندونيسيين وعددهم ثلاثون عضوا ، ومن الهولنديين وعددهم خمسة وعشرون عضوا ، ومن الشرقيين خمسة أعضاء . ودل هذا الانتخاب على أن هذا المجلس ليس مجلساً نيابيا أندونيسيا ؛ بل هو مجلس هولندى ، فما نسبة ثلاثين عضوا من سبعين مليون نسمة ؟ ! .. إنها نسبة تتضاءل جدا أمام هذه الأرقام الهائلة !

(البقية فى العدد القادم)

محمد هنيدى

إنه سيكون لابنى نبأ جليل ..

اتصل بابك بجاويدان ملك الخرمية ، فقربه إليه ، لما رأى من فطنته وخبثه وشهامته . فلما مات جاويدان استدعت امرأته بابك وقالت له : إنك جلد شهم ، وقد مات ولم أرفع بذلك صوتى إلى أحد من أصحابه ، فتهيأ لقد ...

فلما أصبحت تجمع إليها جيشُ جاويدان ، فقالوا : لِمَ لمْ يدعنا ويوصى إلينا ؟

قالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين فى منازلكم من القرى ، وأنه إن بعث إليكم وجمعكم انتشر خبره ، فلا يأمن عليكم شِرَّةَ العرب ، فعهد إلىَّ بما أؤديه اليكم .

قال لى : إنى أريد أن أموت فى هـذه الليلة ، وإن روحى تخرج من بدنى ، وتدخل فى بدن بابك ، وتشترك مع روحه ؛ وإنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحـد ، وإنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ، ويرد الزدكية ، ويعز به ذليلكم ، ويرتفع وضيعكم .

فآمن القوم ببابك ، وتزوجته امرأة جاويدان . ومن غريب ما جرى فى الاحتفال بهذا الزواج أنهم أتوا ببقرة ، فقتلوها ، وسلخوها ، وبسطوا جلدها ، وجعلوا فوقه طستاً مملوءاً خمرا ، ووضعوا خبزا حوالى الطست ، فكان كل رجل يأتى يأخذ لقمة ويغمسها فى الخمر ويأكلها ويقول : آمنت بك يا روح بابك ، كما آمنت بروح جاويدان .

أخذ بابك ومن معه يعيثون فى الأرض فسادا ، وينشرون مذهبهم الإباحى . وبلغ المأمون خبره سنة ٢٠١ هـ الموافقة لسنة ٨١٦م ، فاهتم بأمره ، وعزم على مطاردته ، والقضاء على مذهبه ، وتعاليمه الضارة بنظم الحياة والاجتماع ، والمضادة لتعاليم الإسلام ، والمنذرة لأركان الحضارة الإسلامية بالتصدع والانهيار . فوجه المأمون إلى بابك أربعة من قواده فى أربع حملات متعاقبة ، فلم يستطيعوا التغلب عليه ، لمكانه الحصين ، وقوته الكبيرة ، وشدة تأثيره فى قلوب جمهوره . وأدركت المأمون منيته قبل أن يتمكن من القضاء على الخرمية الإباحية ، فكان من وصيته لأخيه المعتصم أن كتب له : « والخرمية فاغزهم ذا حرامة وصرامة ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل لذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه » .

وفى أول عهد المعتصم استفحل أمر الخرمية فى أذربيجان ، ودخل فيه خلق كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وغيرها ؛ ولكن المعتصم شمر عن ساعد الجد ، وبذل جهده فى الخلاص من هذا الشر ، فاختار لحرب الخرمية قائداً من كبار قواده ، هو المعروف بالأفشين ، وسيره إليهم فى سنة ٢٢٠ هـ على رأس جيش منظم ، فدبر الأفشين أمر القتال ، وأحكم تدبيره ، ووزع قواده على الحصون والمعاقل لحراسة القوافل والسابلة ، وأطلق عيونه وجواسيسه حتى يعرف خطوات الثائر وحركاته . واستمر يحاربه سنتين ، حتى انتصر عليه فى سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٧ م .

وفر بابك متنكرا حتى نزل مكانا بأرمينية ، فعرف خبره سهل بن سنباط أحد بطارقة أرمينية ، فذهب إليه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : قم أيها الملك إلى قصرك الذى فيه وليك ؛ حيث تكون فى أمان من عدوك . فسار معه إلى قصره ، ورفع سهل مجلسه وعظمه ، وقدمت المائدة ، وجلس يأكل معه ، فاستشعر بابك جبروته غافلا عما يدبر له فقال لسهل : أمثلك يأكل معى ؟ فقام سهل وقال : أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده . ودخل حداد كان سهل أرسل فى طلبه ، فقال لبابك : مد رجلك أيها الملك . والتفت إلى الحداد قائلا : أوثقه بالحديد . فقال له بابك : أغدرا يا سهل ؟ قال سهل : يا ابن الخبيثة ، إنما أنت راعى غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات ؟ وسلمه إلى الأفشين ، فأرسله إلى الخليفة بسامرا ، فأمر بقتله وصلبه .

وكان يوم دخول الجيش ببابك مدينة سامرا يوما مشهودا ، خرج فيه الخليفة ، ومعه أشراف الدولة ، فاستقبلوا الأفشين استقبالا باهرا ، وكان فرح المعتصم عظيما ، حتى إنه كان يرسل إلى قائده الباسل فى صبيحة كل يوم خلعة شرف ومعها الهدايا الثمينة .

وجلس الأفشين للشعراء ، يستمع إلى أشعارهم فى الثناء عليه إذ أراح الناس من شر ثائر روع البلاد والعباد عشرين عاما ، قتل فيها مائتين وخمسة وخمسين ألف إنسان ، وأسر ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل وسبعة آلاف وستمائة امرأة ، وقد ظلوا فى أسره حتى أنقذهم الأفشين .

عباس حسان خضر